ResearchGate

See discussions, stats, and author profiles for this publication at: https://www.researchgate.net/publication/378941470

كيفية اسقاط النظرية في البحث العلمي

Preprint · March 2024

DOI: 10.13140/RG.2.2.27006.60483

CITATIONS
0

READS
792

1 author:

Hicham Betahar
University of Jijel
24 PUBLICATIONS **3** CITATIONS

SEE PROFILE

All content following this page was uploaded by Hicham Betahar on 14 March 2024.

The user has requested enhancement of the downloaded file.

البحث العلمي والنظرية

هشام بطاهر/ أستاذ بقسم الإعلام جامعة جيجل (الجزائر)

14 مارس 2024

1.النظرية في البحث العلمي

يُقزِّم بعض الباحثين والطلبة الأهمية الكبيرة التي تحظى بها النظرية في البحث العلمي، بين من يخصص لها مطلبا صغيرا ويلصقه ميكانيكيا بالفصل المنهجي، حيث لا يتجاوز هذا الفصل المخصص للنظرية حدود الصفحة أو الصفحتين كماً، والنقل الحرفي دون التحليل والتفسير كيفًا، ومن لا يدرج النظرية من أصلها في البحث العلمي، ولا شك أن عدم توظيفها أو توظيفها بشكل مبتور من شأنه أن يسقط صفة العلمية عن الدراسة البحثية، مهما تعاظمت درجتها دكتوراه كانت أو ماجستير أو حتى ماستر وليسانس على أقل تقدير، وهذا بشهادة الباحثين المشتغلين في حقل التنظير الذي يعتبر الخطوة الأولى لإضفاء صفة العلمية على البحوث العلمية، ونفي صفة السطحية والسذاجة العلمية في الطرح مع مختلف المعلومات.

تعد النظرية بمثابة الرؤية الاستراتيجية علميا؛ التي تسمح للباحث بالانتقال السلس، المنطقي، والعلمي بداية من الإحساس بالمشكلة إلى غاية صياغة النتائج النهائية للبحث، وعلى هذا الأساس فإن توظيف النظرية من شأنه أن يجعل الباحث يختار خطوة علمية دون أخرى، ويمتنع عن خطوة دون غيرها، تبعا للأفكار الكبرى والفروض الرئيسة للنظرية المختارة، كما تعتبر مصدرا يستأنس بها الباحث في حال اعترض مساره البحثي أي إشكال جعله يصل إلى مرحلة الغموض.

توظيف النظرية من خلال اختيار مفرداتها في عنوان الدراسة، وتبني أدواتها في الفصل المنهجي للدراسة، ومعالجة الفصل التوثيقي تبعا للكلمات المفتاحية للنظرية، وتخصيص فصل نظري خاص بالنظرية (مفهومها، مرتكزاتها، فروضها، واسقاطها)، فضلا عن تحليل نتائج الدراسة وتفسيرها تبعا لمرتكزات النظرية المختارة، سيجعل البحث أقل عرضة للخطأ العلمي، ويجعله أكثر انسجاما واتساقا سواء من حيث العلاقة بين الفصول فيما بينها، أو من حيث زاوية المعالجة العميقة للموضوع.

2. كيفية اختيار النظرية الأنسب

يتعامل الكثير من الباحثين مع خطوة اختيار النظرية الأنسب للدراسة بمفهوم التسوّق* العلمي، حيث يختارون النظريات الأشهر والأسهل في مجال بحثي معين، دون مراعاة للشروط العلمية الأنسب للاختيار، رغم تعارض النظرية مع الظاهرة المدروسة في كثير من الحالات، فيحدث أن يتم اختيار نظرية الاستخدامات والإشباعات في موضوع يتعلق بتأثير وسائل الإعلام على الجمهور، وفي هذه الحالة فإن الظاهرة المدروسة تُعنى باتجاه التأثير من الوسيلة إلى الجمهور والنظرية تتحدث عن الاتجاه من الجمهور إلى الوسيلة في تناقض واضح ولا يخدم بتاتا النظرية، كما لا يساعد الباحث في فهم الظاهرة المدروسة.

وعلى هذا الأساس فقد تم إبراز مجموعة من العناصر التي يجب مراعاتها من طرف الباحث صاحب الدراسة في اختياره النظرية الأنسب لموضوعه.

1.2. المتغير المستقل

إن تواجد المتغير المستقل كمصطلح أساسي في النظرية من شأنه أن يساعد الباحث في شرح وفهم وتفسير الدراسة بالشكل المطلوب، بسبب التجارب المتعددة التي مرت بها النظرية قبل الوصول إلى تلك الدرجة من العلمية والقدرة على معالجة الظواهر، وعليه فإن كان مصطلح "الدلالات الرمزية" كمتغير مستقل في عنوان دراسة ما، فإن التفاعلية الرمزية في هذا المثال من أنسب النظريات التي من شأنها أن تفيد الباحث في فهم موضوعه، لأنها اهتمت بشكل كبير بهذا المصطلح ضمن فروضها وأفكارها الرئيسة، وقدمت مختلف العوامل المرتبطة بالمصطلح تقديما دقيقا وعميقا.

2.2. المتغير التابع

رغم أن المتغير التابع هو المتأثر بالمتغير المستقل من الناحية المنهجية، إلا أن هذا لا يعني عدم أهميته كمصطلح محوري في البحث، بل ومصطلح أساسي يتم على أساسه اختيار النظرية الأنسب، لأن كثير من النظريات (النماذج، والبراديغمات) في البحث العلمي تسعى لفهم وتفسير العلاقات السببية بين المتغير المستقل والتابع، ولذلك فإن **مهارات المرسل** في العملية الاتصالية كمتغير تابع للتركيبة النفسية والاجتماعية للفرد في دراسة معينة، تجعل من النظرية السلوكية هي الأقرب لوصف الظاهرة، كون هذه الأخيرة (النظرية السلوكية) تحاول دراسة التركيبة النفسية والاجتماعية وكيفية تأثيرها في مهارات المرسل؛ الذي هو متغير تابع في هذه الدراسة.

---

* يقصد به اختيار الباحث لأي نظرية يراها الأسهل وليس الأنسب، تماما كالفعل التسوُّقي القائم على اختيار أقل المشتريات ثمنا، دون مراعاة صلاحيتها، ولا فائدتها، والأمر منطبق هنا على النظريات التي يراها الأسهل والأكثر تداولا حتى وإن كانت لا تخدم الدراسة بشكل عميق، ويتعمد توظيفها بشكل ميكانيكي يفقد البحث العلمي صفتي الشرح والوصف.

علاقة النظرية بالمتغير التابع تشبه إلى حد كبير (مفتاح خارطة) معينة، من خلال توضيح مكانة المتغير التابع في موضوع الدراسة وكذا إبراز النظرية لكل العوامل المتحكمة في هذا المتغير، وعلى أساسه يمكن للباحث أن يكوّن صورة أشمل عن موضوع الدراسة بمختلف أبعادها.

بالنسبة للأبحاث التي لا تتضمن متغيرا تابعا، أو ذات المتغير الأحادي، فإنه يمكن للباحث التركيز على أوجه التشابه بين الكلمات المفتاحية لدراسته، والمصطلحات الأساسية لنظرية ما، دون عناء البحث عن النظرية التي تعالج العلاقات السببية في الظاهرة محل الدراسة، على سبيل المثال (أشكال الاتصال التقليدي في منطقة غرب افريقيا، أشكال الاتصال الإلكتروني في بيئة رقمية (واتساب).

في مثل هذه الدراسات يمكن للباحث الاكتفاء بنظريات أو نماذج تختص بتقسيم العملية الاتصالية، مثل نموذج ديفيد بيرلو في تحديده لعناصر العملية الاتصالية.

3.2.توافق فرض أو فروض النظرية مع السؤال الرئيس والتساؤلات الفرعية للدراسة

إذا كان السؤال الرئيس والتساؤلات الفرعية في دراسة ما العمود الفقري للدراسة، فإن فرض (فروض) النظرية هي العمود الفقري للنظرية، ولذلك فإنه كلما كان التوافق والتقارب بين فروض نظرية ما والتساؤلات الفرعية لدراسة ما كبيرا، كان فهم الظاهرة المدروسة أكبر، وكانت علمية الدراسة في أعلى الدرجات من سلم العلمية والمصداقية، لأن فرض (فروض) النظرية تحدد طريقة النظر إلى الظاهرة، وطريقة معالجة الظاهرة، وطريقة استخلاص النتائج تبعا لخطوات علمية مسبقة يبرزها فرض أو فروض النظرية، والأمر نفسه ينطبق على السؤال الرئيس والتساؤلات الفرعية للدراسة، من حيث أنهم يعكسون النظرة الخاصة بالباحث لموضع بحثه من اختيار الموضوع إلى غاية الوصول إلى النتائج.

فعلى سبيل المثال إن كان السؤال الرئيس أو أحد التساؤلات الفرعية يعالج مدى التعرض لمضامين التلفزيون وعلاقتها بالعنف، فإن النظرية الأنسب هنا هي الغرس الثقافي، لأن مدى التعرض لمضامين التلفزيون يستوجب تقسيم الجمهور حسب مدى تعرضهم لهذه المضامين (قليل المشاهدة، كثيف المشاهدة،....) وهو التصنيف الذي يساعد الباحث ويسهّل عليه فهم أنواع الجمهور في دراسته، كما أن الدراسة تتوافق مع النظرية في متغير (العنف في وسائل الإعلام) وهو الأصل الذي قامت على أساسه النظرية.

بعض النظريات سيما الحديثة منها، ونظرا لبعض التحديثات التي طرأت على الساحة الأكاديمية العلمية، أصبحت لا تتضمن فرضا أساسيا أو فروضا، وعليه قد يجد الباحث نفسه في هذه الحالة أمام مشكلة الطريقة

الأنسب لإسقاط النظرية، وهنا يمكن للباحث القراءة المتعمقة للنظرية من أجل استخلاص الأفكار الكبرى للنظرية واسقاطها على موضوع دراسته.

3.خطوات إسقاط النظرية

أضحت كلمة (اسقاط النظرية) هاجسا يؤرق الباحثين والطلبة على حد سواء، وربما يعود ذلك إلى غموض العملية من جهة، وعدم فهم الدور الحقيقي الذي تلعبه النظرية في البحث العلمي من جهة ثانية، وكذا الاطلاع على بعض النظريات الكلاسيكية التقليدية دون معرفة الجديد منها، فضلا عن المعرفة المحدودة بالنظريات (كتاب موسوعة النظريات الاتصالية لوحده يضم أزيد من 350 نظرية).

وعلى هذا الأساس جاءت هذه الورقة لتبرز أهم الخطوات الخاصة بإسقاط النظرية في البحث العلمي.

1.3.استخراج الفروض (الأفكار الرئيسة) للنظرية

الاطلاع على النظرية بشكل عام، من أجل استخراج الفروض الأساسية لها، تمثل الخطوة الأولى في عملية الاسقاط، ولذلك يستحسن أن يطلع الباحث على أكثر من مرجع، لتكوين نظرة أشمل على موضوع بحثه، إذ يمكن أن يعالج كل مرجع جزء فقط من الفروض، وبالتالي كلما كان عدد المراجع أكثر كلما كان نظرة الباحث وفهمه للفروض أحسن وأمثل، وكنتيجة منطقية كلما كان فهم الفروض أحسن كان شرحها أسهل، والاستفادة منها أكثر.

بعض النظريات تتضمن فروضا واضحة ومباشرة: فمثلا نظرية الحقنة تحت الجلد من أهم فروضها: وسائل الإعلام تؤثر بشكل قوي ومباشر على الجمهور، وفي حال كان الفرض غير واضح، أو غير مصاغ بشكل مفهوم للباحث، يمكنه الانتقال إلى إجراء **بديل**، يتمثل في استخراج الأفكار الرئيسة لموضوع النظرية المراد الاعتماد عليها.

2.3.الانتقال من الفروض (الأفكار العامة) للنظرية إلى الأمثلة التطبيقية في موضوع الدراسة

تمثل الخطوة الثانية من إسقاط النظرية حلقة وصل وربط بين النظرية وموضوع الدراسة، حيث يتم سحب المصطلحات من طابعها العام والتجريدي إلى الطابع الخاص والتجسيدي، فعلى سبيل المثال نظرية ترتيب الأولويات التي تقول أنّ وسائل الإعلام تُرتِّب أولويات الجمهور فيما يتعلق بالقضايا الراهنة، وكان موضوع البحث عن قناة الجزيرة والقضية الفلسطينية بالنسبة للجمهور العربي، يكتب الباحث ما يلي:

قناة الجزيرة ترتب أولويات المشاهد العربي نحو القضية الفلسطينية.

ففي المثال السابق تمثل وسائل الإعلام مصطلحا عاما تجريديا، أما قناة الجزيرة فهي المصطلح الخاص والتجسيدي لأنه مرتبط بموضوع الدراسة، والمشاهد العربي هو التمثيل الخاص والتجسيدي للجمهور بشكل عام وتجريدي، والقضية الفلسطينية هي تمظهر تجسيدي وخاص للقضايا الراهنة كمصطلح عام وتجريدي.

في حال لم تكن للنظرية فروضا واضحة يمكن سحب الكلمات المحورية بالطريقة نفسها التي سُحبت فيها فروض النظرية.

3.3.شرح موضوع الدراسة تبعا للفروض والأفكار الرئيسة

شروع الباحث في شرح الخطوة السابقة بكثير من التفصيل يمثل آخر خطوات الاسقاط، لأن الانتقال من الفروض أو الأفكار الأساسية الخاصة بالنظرية، وسحبها نحو موضوع الدراسة في عبارة بسيطة غير كاف ليكتمل المعنى، ولذلك يستوجب على الباحث في هذه الخطوة أن يقوم بشرح، تفسير وتوصيف العملية بشكل دقيق وعلمي، سيما أن الكثير من المفاهيم في البحث العلمي تحتاج إلى هذا النوع من الشرح والتفسير قصد إيصال الفكرة أكثر، ومساعدة الباحث لاحقا على الاستئناس بهذه الأفكار في الفصل التطبيقي من دراسته، ليكون هناك ترابط منطقي بين مختلف الأجزاء المكونة للدراسة.

وبتطبيق ذلك على المثال السابق: فإن الإشارة إلى قناة الجزيرة من جهة، والقضية الفلسطينية من جهة ثانية، والجمهور العربي من جهة ثالثة لا يمكن إبرازه في عبارة الإسقاط فقط (التي لا تتجاوز عشر كلمات)، ولذلك فإن الإشارة إلى زوايا المعالجة، الخط الافتتاحي، السياسة التحريرية، هيكلة غرفة الأخبار في قناة الجزيرة من شأنه أن يشرح ويشرّح الدراسة تشريحا علميا دقيقا، والتطرق للقضية الفلسطينية بشيء من التفصيل في علاقتها بقناة الجزيرة، أيضا يساعد في فهم الظاهرة أكثر، ثم ربط ذلك بطبيعة الإعلامية للمشاهد العربي سيزيل ما تبقى من غموض حول الموضوع المدروس بشكل عام.

نظرا لتشعب الكثير من المفاهيم وعلاقتها بمختلف الأبعاد والمؤشرات تأثيرا وتأثرا، وكذا الطابع التداخل بين مختلف العلوم في الوقت الحالي، فإن شرح الإسقاط من شأنه يجعل البحث بشكل عام واضح المعالم، وقوي البنى المعرفية والتماسك الفكري، وهذا من شأنه أن يكسب موضوع الدراسة ثوب العلمية أكثر.

ملاحظة:

إن معرفة السياق التاريخي والمكاني للنظرية يساعد الباحث أكثر في فهمها، والاستفادة منها قدر المستطاع في موضوع البحث المدروس، فعلى سبيل المثال فهم الجانب الإيديولوجي لظهور وتأسيس المدرسة النقدية في ألمانيا

في تلك الحقبة الزمنية، ومراحل ضعفها وقوتها تبعا لمعطيات كل حقبة زمنية على المستوى السياسي والفكري والثقافي في ألمانيا سيسّهل على الباحثين معرفة آلية توظيفها بشكل جيد في مختلف المواضيع، ويفهم أسباب نقدها لمضامين وسائل الإعلام، وكذا تركيزها على البعد الفلسفي أكثر من البعد الميداني الإمبريقي.

View publication stats